ظاهرة الحرقة بين الهوية والهجرة إلى الإنسانية

The phenomenon of ELHERGA between identity and migration to humanity

عبد المالك ربيعي[1] [*]، د. محمد سعيدي[2]

[1] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، abdelmalekanthropologie@gmail.com

[2] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، msaidi45@yahoo.fr

تاريخ الاستقبال: 2022/07/29؛ **تاريخ القبول:** 2022/08/30؛ **تاريخ النشر:** 2022/10/02

ملخص:

في هذا المقال تناولنا بالدراسة مفهومين هامين جدا الاول مفهوم الهوية والذي اصبح محوريا في اغلب الدراسات والبحوث الاجتماعية والانسانية و ظاهرة الحرقة التي انتشرت بشكل كبير وبين مختلف افراد المجتمع وذلك بقاربة انثروبولوجية من خلال مسالة تمثل الشباب لهذين المفهومين لمحاولة فهم العلاقة بينهما ومدى تاثيرهما في تشكل كل منهما عند الشباب ودورهما بالاساس في اتخاذ قرار الحرقة وهل يمكن اعتبار هذا القرار هجرة الى فضاء اخر موسوم بالإنسانية والحرية وقيم اجتماعية تؤثر بدورها في اتخاذ هذا القرار وذلك بدراسة حالة لشاب جزائري مصاب بمرض القصور الكلوي الحاد والكلي والذي قبل مشكورا مشاركتنا هذا البحث بالمقابلة المباشرة التي تضمنت الاجابات عن تساؤلات مفردات البحث والتي قمنا بمحاولة تحليلها ضمن منظور انثروبولوجي قد يغير في التناول النضري لمفهوم الهوية ومفهوم الحرية ومفهوم الانسانية وكيف تمارس هذه المفاهيم وتتجلى في الواقع المعيش

الكلمات المفتاحية : الحرقة ؛ الهوية ؛ الهجرة إلى الإنسانية

Abstract:

In this article, we dealt with the study of two very important concepts. The first is the concept of identity, which has become central in most social and human studies and research, and the phenomenon of ELHARGA, which has spread widely and among different members of society, through an anthropological approach through an issue of youth representing these two concepts to try to understand the relationship between them and the extent of their impact in shaping each of them. The youth and their role mainly in making the heartburn decision. Can this decision be considered a migration to another space marked by humanity, freedom, and social values that influence its role in making this decision, with a case study of an Algerian young man with acute and total renal insufficiency, who graciously accepted our participation in this research with a direct interview that included the answers On the research vocabulary questions, which we have tried to analyze within an anthropological perspective that may change the theoretical approach to the concept of identity, the concept of freedom and the concept of humanity, and how these concepts are practiced and manifested in the living reality

Keywords: ELHARGA; identity ; immigration to humanity.

[*] المؤلف المرسل .

مقدمة :

مَنْ مِنَا من لا يتألم ويحزن لما تطالعنا به وسائل الإعلام ووسائط التواصل الإجتماعي لأخبار غرق وهلاك مجموعة، بل مجموعات من الشباب والكهول وحتى الأطفال غرقا في مياه المتوسط، تلك المياه التي تلفظ أحيانا جثثهم في صور مرعبة أليمة محاولين بعد أن جدوا وإجتهدوا في عبورها إلى الضفة الأخرى مجازفين بأموالهم وبأرواحهم وبأطفالهم بأغلى ما يملكونه في هذه الحياة على أمل النجاة والخلاص من واقع ومجتمع وبلد أصبحوا يرفضونه أو يرفضهم-بشدة- إلى درجة اختيارهم أو دفعهم ركوب الأمواج وركوب الخطر غير أبيهنا بخطر الموت غرقا ناهيك عن خطر غدٍ ومصير مبهم للبعض وغير مبهم للبعض الأخر، جثث وأشلاء البعض منهم -والذين قد يعتبرون أوفر حظ على الأقل بالنسبة لأهاليهم من الذين غادروا دون أن نعلم عن مصيرهم أي شيء. ووقع هذه الصور بقدر ما يحدثه من ألم وحسرة وحزن يثير في الجميع الدهشة والحيرة والتساؤل لماذا يحدث هذا، ما الذي يدفع هؤلاء إلى هذا المصير المحزن، ولأن الموضوع أصبح تقريبا يوميا ومعيش فقد إرتقى إلى مصاف الظاهرة المقلقة والحرجة جدا ولما لا تكون المستعجلة حتى نرفع من سقف التنبيه إلى خطورتها وتفاقمها بشكل سريع وكثيف حتى يتم العمل على الإحاطة بها وفهم أسبابها بفك رموزها للمساهمة —من طرفنا- ولو بالنزر القليل في محاولة دراسة هذه الظاهرة، ظاهرة الحرقة الكثير منا يخاف الموت ويحذر من الخطر الذي قد يؤدي إلى الموت ويتجنبه بل ويبتعد عنه قدر الإمكان وأكثر مما كان خاصة عندما يدركه ويخشى حصوله، لكن لاختيار فئات عديدة من شباب وشابات وكهول مجتمعنا تجاوز كل ذلك وتسعى وترغب بل وتقوم بالمجازفة والإقدام على الحرقة فهذا شيء آخر وجب النظر فيه سريعا وتفكير ككل ما يخدم ويعين ويقوم بتفسيره وفهمه، أي يجب التجنيد السريع لكل الهيئات القائمة في وعلى خدمة هذا المجتمع وتوفير كل يمكن لتدارك هذا الوضع ومحاولة الإحاطة به وإيجاد الحلول الإستعجالية والمؤجلة بوضع برامج في مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى ذكر استنفار الهيئات وعلى اختلافها وبكل ما تشمله هذه الكلمة من معان ومن مؤسسات وغيرها وأبرزها الهيئات العلمية التي تعنى بدراسة الإنسان والمجتمع في الجامعات ومخابر البحث، في حين قام ويقوم العديد من الباحثين على دراسة هذه الظاهرة وقدمت العديد من الأعمال والأوراق البحثية في مختلف اختصاصات العلوم الإنسانية ومن أهم هذه الاختصاصات العلمية المنوط بها الاشتغال بعمق في كل ما يرتبط بالإنسان (homme avec grand H) مثلما تُعرِف به عن حقلها العلمي وفضائها الدراسي وبما امتازت به من التكيف والتعامل مع مختلف المواضيع والمشكلات البحثية لثرائها الكمي والكيفي وتعدد مناهجها وأدواتها البحثية. الدراسات او البحوث الانثروبولوجية التي تتميز بالدراسات الميدانية والتي تتعدد فيها المناهج والتقنيات بإعتبار الانثروبولوجيا أصبحت عابرة تقريبا لكل العلوم وتتفرعات تلك العلوم وتخصصاتها و تتقاسم معها موضوعاتها وادوات وتقنيات بحوثها أتاحت للباحث الأنثروبولوجي إستدعاء مختلف المناهج وإستعمال أدواتها وإمكانتها في البحث والتحليل.

نحاول في هذه الدراسة دراسة مسألة الهوية ودورها في صنع قرار الحرقة، أي ماذا يعنيه هذا المفهوم بالنسبة للحراق، وكيف يتمثله مقارنة بما تعنيه له الإنسانية (الغربية)، تلك الإنسانية التي يثابر ويغامر من أجل الهجرة إليها، هل تعتبر الهوية قيدا على حرية الحراق في اختيار انسانيته وفضاء عيشه وتحقيق ذاته أم أنها قابلة للتغيير وإعادة التشكيل بما تقتضيه ذاته وزمان ومكان عيشه من خلال دراسة حالة الشاب بالمقابلة المباشرة. من خلال دراسة حالة لشاب جزائري قام بعملية الحرقة بعد ان تمكنا من التواصل معه عن طريق طبيبه الذي كان يشرف على علاجه بعد تعرضه للإ صابة بمرض القصور الكلوي الحاد والكلي والذي غير حياته واجبره على الخضوع لعملية تصفية الدم بمعدل ثلاثة أيام في الأسبوع

أولا: نموذج المقابلة وأسئلة الدراسة

عند تناولنا للوهلة الاولى لمفردات عنوان هذا البحث لهذه الظاهرة التي القت بتداعياتها على مختلف الاصعدة والأجهزة فكرية كانت او تنظيمية او اعلامية وعلى مستوى شبكات التواصل الاجتماعي التي تنقل العديد من الفيديوهات والصور للحراقة وهم يعبرون البحر على قارب الموت او النجاة على الاقل بالنسبة لهم وتنقل ايضا صور لجثث بعضهم الذين انتهت امالهم وحياتهم ايضا على مياه المتوسط_ الذي ينقل الحوار الذي دار ويدور باستمرار بين مختلف ضفافه وجنابته_ هم المفردات والمكون الرئيسي لهذه الظاهرة ومن ثم كمكون لعيينات هذه والدراسة هذا ان ادركناهم واستطعنا الوصول اليهم والتواصل معهم لمحولة ادراك وفك الغموض والأسباب والعوامل نفسية كانت ام اقتصادية ام اجتماعية ، او بالأحرى و بمداد انثروبولوجيي بحت البحث عن العوامل الثقافية التي انشئت المعاني التي تبني التمثلات الاجتماعية التي تدفع بهم لخوض غمار هذه التجربة الخطيرة .

ومن ثم ، يبدو لنا ان هذا الموضوع البحثي يستدعي الاحاطة ببعض المشارب العلمية الاخرى والتي عادة ما تستدعيها وتستعملها الانتروبولوجيا حتى تتموضع اكثر وتشرعن أكثر لتفسيراتها ولتؤكد تحليلاتها ونتائجها واستنتاجاتها حتى تستمر_هي_ ونستمر نحن ايضا .

ولكي يتسنى لنا نحن ايضا العبور الى حيث هم الى حيث تمثلاتهم الى حيث أمالهم وألامهم اخترنا مركبا بحثيا يقوم فيه على خدمتنا ستة من الربابنة المهرة العارفين بأغوار بحار ومحيطات البحث العلمي ،وهي تقنية الاسئلة الستة ماذا ومن ولماذا وكيف ومتى واين

والذي سيحدد لنا كل ذلك هو مجمعة التساؤلات والاسئلة وفقا لما يتوفر لدينا من استجابة ورغبة في المساعدة من الحراق موضوع دراسة الحالة تسائلات اساسها سؤال الانطلاق وسنحاول اظهار ذلك ونستشفه من أجوبة– عينة الدراسة – من خلال مجموعة من التساؤلات نصنع منها نموذجا للمقابلة

حول سؤال الانطلاق :

ماهي تمثلات الشبب الجزائري للهوية ماذا تعني له وماذا قدمت له واثر ذلك في اتخاذ قرار الحرقة وتمثله لهذه الظاهرة وماذا ستقدمه له من بدائل يبحث عنها ولم تتوفر له في مجتمعه الاصلي حيث تشكلت هويته وكيف اصبح تمثله لهذا المفهوم بعد ان نجح في العبور الى الضفة الاخرى ؟

السؤال هو المحور الاول للمقابلة

- ✓ كيف يتمثل الشاب الجزائري مفهوم الهوية؟
- ✓ كيف يتمثل مفهوم الحرقة ؟
- ✓ ما هي الأسباب التي تدفع الشاب الجزائري للحرقة؟

الدراسات السابقة

نظرا لأهمية وخطورة الظاهرة وانتشارها خاصة في الاونة الاخيرة فلقد حضيت بالكثير من الإهتمام البحثي الأكاديمي في مختلف التخصصات العلمية بدءا بعلم الإجتماع إلى الديموغرافيا إلى علم النفس الإجتماعي الى القانون والعلوم السياسية والأمن والعلوم الإقتصادية وغيرها

إلى جانب التناول الإعلامي الواسع بمختلف وسائله ووسائطه وكذا الإهتمام الرسمي لدول وحكومات ضفتي المتوسط لمحاولة إحتواء هذه الظاهرة و الحد منها بمختلف الوسائل و الإمكانات لأنها أصبحت تشكل عوسخرت لذبء سياسي وأمني وإقتصادي خاصة على الدول شمال البحر المتوسط وفعلت مراكز بحث ومختبرات علميةوعقدت العديد من الندوات و اللقاءات الدولية لبحث ومعالجة هذه الظاهرة

وسنشتغل في دراستنا هذه على الابحاث ذات الصلة المباشرة لتخصصنا الأنثروبولوجيا اوعلى القريبة منه ذات التناول السوسيولوجي و البسيكوسوسيولوجي

_كتاب "**الهجرة الحراك والنفي وأثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي**" يتضمن هذا الكتاب سلسلة حصيلة اعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة بعنوان سلسلة مطبوعات الملتقيات السنوية 2010 رقم5 لمخبر العلوم الانسانية جامعة منتوري قسنطينة الجزائر

الدراسة الاولى

بعنوان " الحرقة مساهمة في فهم ظاهرة الهجرة غير الشرعية" للدكتور بوبكر جيملي قسم علم الاجتماع جامعة سطيف

هدف الدراسة

هو دراسة الظاهرة من منظور سوسيولوجي انطلاقا من : اساسيتين ولهما العمل على الفهم الصحيح للظاهرة بالتناول العلمي لها مع التركيز على الابعاد النفسيه والاجتماعية والدينية لهذه الظاهرة الثانيه دراسة الواقع الشباني وربطه بظاهرة الحرقه جاء في الدراسة تناول لمصطلح الحرقه وانتشاره في الاوساط الشبانيه مع الاشاره الى كيفيه نشأته ثم تناول عمليه الهجره وفقا لبعض النظريات المفسره للهجرة اراد الباحث ان يبرز الجانب المأساوي لهذه الظاهرة واعتبارها عمليه انتحارية وربطها بظاهرة الانتحار ثم تطرق الى علاقة الحراق مع بيئته ثم مع اسرته ثم مع دينه ثم خلص الى نتيجة انه يجب اعتبار عمليه الحرقة شكلا من اشكال الانتحار

نقد الدراسة هي دراسة نظرية مقتضبة افدنا منها التناول المصطلحي لكلمة الحرقة

الدراسة الثانية: للأستاذ معمر مُحَّد من جامعة تلمسان بعنوان "واقع الهجرة غير الشرعية " منشورة في مجلة الانسان والمجتمع العدد السابع ديسمبر 2013 تصدر عن كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة تلمسان

ويذكر في اشكالية الدراسة انه نظرا لتعقد هذه الظاهرة وانتشارها الواسع في الوطن الجزائري تستلزم الدراسة والتحليل العلمي والموضوعي لمشكلة التكيف الاجتماعي للحراقة في المهجر وكذلك التغيير في اسلوب الحياة والقيام وصله العلاقات الاجتماعية دراسة

عيوب ومزايا ظاهره الحرقة على المجتمع والوطن مركزا في هذه الدراسة على اسباب ودوافع الاقبال على الظاهرة مع الاخذ بعين الاعتبار جميع العوامل التي لها صلة بالموضوع متسائلا

ما هي الاسباب والدوافع التي تؤدي الى الاقبال على ظاهرة الحرقة مع وجود افراد اخرين لا يتخذون نفس القرار رغم اشتراكهم العيش في نفس الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

مجيبا عن ذلك بتطرقه الى مجموعه من المفاهيم ثم الى ذكر الاسباب التي ادت الى ظهور هذه الظاهرة مبتدأ بالأسباب الاقتصادية متمثله في غياب التوازن الاقتصادي على المستوى الدولي الذي يوسع الهوت بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة والسائرة في طريق النمو بحيث انه كلما زاد الفارق في مستويات الدخل زاد الدوافع الهجرة لدى الاخر

ويذكر من الاسباب السياسية والامنية الاضطرابات السياسية وسياسات الهجرة المعتمد ثم يعدد الاسباب النفسية والاجتماعية متمثلة في صور النجاح الاجتماعي

اما الاسباب النفسية فيعتبرها ذاتيه تخص الميولات الشخصية للأفراد الذين يبحثون عن تحقيق التفوق الاجتماعي والعيش على حضارة وثقافة البلاد المراد الهجرة اليه ويذكر كذلك تأثير وسائل الاعلام كما ان للعامل التاريخي والعامل الجغرافي دور هاما في اذكاء وانتشار هذه الظاهرة ملخصة في العلاقات الدولية التي تشمل طرفي البحر الابيض المتوسط كونها دول مستعمرة ودول مستعمرة وقرب المسافات تشكل عاملا اساسا لتحقيق هذه العملية عمليةالهجرة غير شرعية

وأخيرا العامل السادس المتمثل في الانتشار الواسع لشبكات الهجرة السرية وتخلص الدراسة الى نتيجة ان الظاهرة عميقة جدا ومنظمة جدا وهادفة بفضل شبكات الهجرة السرية

وان العوامل والأسباب التي تم ذكرها تساهم بصورة مباشرة في تفعيل هذه الظاهرة غير ان

قرار الحرقة يبقى قرار شخصيا يعود الى تمثلات الحراق بحد ذاته لعوامل الدفع في مناطق الاصل وعوامل الجذب في مناطق الوصول

وتنتهي الدراسة بعرض مجموعة من الاقتراحات يجدها البحث كفيلة لحماية شريحة الحراق في المجتمع الجزائري ومحاولة للقضاء على ظاهرة الحرقة والحد من تزايدها

ومن هذه الاقتراحات

اعاده الثقة بين الشباب والوطن وتشجيع الشباب على عمل مشروعات صغيرة العمل القضاء على الرشوة والبيروقراطية و توفير فرص عمل دائمة للشباب انشاء لجان وطنية و ولائية تهتم بانشغالات الشباب

توزيع مناشير وتقارير ضمن حمله قومية اعلامية لتوعية افراد المجتمع والشباب بخطورة هذه الظاهرة تشديد الحراسة على شبكات الهجرة السرية وأخيرا اقامة مراكز بحث ودراسات لهذه الظاهرة

نقد الدراسة

دراسة نظرية مفاهيمية ارتكز الباحث فيها واستند على احد النظريات المفسرة للهجرة والتي تسمى نظرية الجذب الطرد مبرزا فيها دوافع الجذب والطرد ممثلة في اسباب الاقتصادية واجتماعية وتاريخية واسباب امنية وسياسية

غير انها اكدت على ان قرار الهجرة يبقى قرارا شخصيا مستندا الى تمثلات الشباب المهاجر الحراق الى عوامل الجذب ودوافع الطرد

الدراسة الثالثة

"الهجرة غير الشرعية انعكاساتها واليات المواجهة" للدكتور زروقي العربي يتساءل فيها الباحث عن الاسباب والدوافع الحقيقية والاصلية التي تدفع الى تفشي الظاهرة ومدى انعكاساتها على الدول النامية خاصة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والدينية والدبلوماسية

ما هو موقف المشرع وما هي الحلول القانونيه والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للحد من هذه الظاهرة

معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي في تناول الاساليب ودوافع الهجره غير الشرعيه تذكر الدراسة معلومات احصائيه رقميه الحراقه حيث تقول ان المديريه العامه للأمن الوطن الجزائري احصت خلال الخمس سنوات الاخيره 8839 مهاجرا غير شرعي

كما عالجت مصالح الدرك الوطني الجزائري حوالي 151 قضيه تورط فيها 899 مهاجرا غير شرعي كما استقبلت 144 شخص مرحلين ينحدرون من عديد ولايات الوطن يوجد من بينهم 11 قاصرا 50 مسنا تتجاوز اعمارهم 50 سنه و9 نساء

يرى الباحث ان الاسباب الرئيسيه للهجرة غير الشرعيه هي اسباب اقتصاديه وأسباب سياسيه وفي الاخير اسباب إجتماعية

الدراسة الرابعة " الخصائص السوسيو الثقافيه للمهاجر غير الشرعي وانعكاسها على التعارف الحضاري بين ضفتي المتوسط" للاستاذين مرسي مشري وركاش جاهيده

تطرح الدراسة سؤالين

الاول هل تعتبر ظاهره الهجره السريه سببا في دفع حوار الحضارات في الدائرة المتوسطية الى الامام ام انه سيكون عائقا لذلك

والثاني هل يمكن لهذا المهاجر السري الذي يتمتع بخصائص سوسيوثقافيه وحضاريه وعلميه معينه ان يساهم بشكل فعال في انجاح الحوار الحضاري بين ضفتي المتوسط

وتخلص الدراسة الى ان

وضعيه الحراقه او المهاجرين السريين في بلد الاستقبال صعبه جدا

ان الضروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعيشونها تحول المهاجر الى لص وتاجر مخدرات ورجل خطير يجب القضاء عليه والى ارهابي متطرف يشكل خطرا على الديمقراطيات والحريات في الدول الاوروبيه

وان ذلك سيكون سببا في افشال الحوار الحضاري بين ضفتي المتوسط

الدراسة الخامسة : "الهجره غير الشرعيه وعلاقتها بازمه الهوية عند المراهق ألجزائري"

للباحثة بن عامر زكيه منشوره في مجله الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات مجلد 7 عدد 2سبتمبر 2018 صفحه 210_ 216 عبارة على ورقه بحثيه نظريه ترتكز على السؤال التالي

هل يمكن ان تكون مشكله او ازمه الهوية عند المراهق سببا في الهجره غير الشرعيه

بعد ان ذكرت بعض الاسباب الاقتصادية والاجتماعية المسببه لظاهره الهجره غير الشرعيه تطرقت الى الاسباب النفسية وربطتها بعامل سن المراهق الذي يعتبر الفترة الحرجه للتغيرات الفيزيولوجيه والنفسية والعقلية للشاب والتي يطور فيها هويته فيبدأ بمحاوله الاجابه على الاسئله التالية

من انا وما دوري في هذه الحياة والى اين اتجه حيث ينشئ لديه صراعا داخليا يؤدي الى الاضطراب في اتخاذ القرارات

نقد الدراسة

دراسة نظريه حاولت فيها الباحثه التركيز على عامل السن الذي يعتبر دورا حاسما في تشكيل قرار الهجره الغير شرعيه

1. مفاهيم متعلقة بالدراسة :

1.1. دراسة الحالة: إن تعبير طريقة دراسة الحالة نادرا ما يستخدم، ويفضل إستبدالها بعبارة "دارسة حالة" دون إرفاق كلمة طريقة بها، فماذا نعني بالضبط بدراسة الحالة؟ هذه الصيغة غائبة عن العديد في قواميس علم الاجتماع، مثل الأطروحات التي تعمل كمراجع (مادلين جراويتز، 1993، ص104)، عندما تظهر هناك، ترتبط دراسة الحالة على الفور بهدف "الاستكشاف ومحاولات اكتشاف مشاكل جديدة، لتجديد وجهات النظر الحالية أو اقتراح فرضيات مثمرة"، في ضوء هذا الزخم، يقال أيضا أنه "وصفي في الأساس يسعى إلى تصوير كل التعقيدات في قضية محددة دون الادعاء على الإطلاق بأنها عامة"، اعتمادا على الظروف، "إما أنها تهدف إلى تحديد تشخيص لمنظمة أو إجراء تقييم، أو أنها تسعى إلى وصف علاج أو تغيير منظمة (Paul de Bruyne et al, 1974, P211-212). لقول الحقيقة، لم يتم تصورها كطريقة، ولكن بالأحرى كمقاربة ذات طبيعة استشكافية للتمهيد، وبالتالي تم تعيين النغمة لتأهيل دراسة الحالة في علم الاجتماع، إنها مهمة فقط كعملية استشكافية تحتاج من أجل إعطاء شكل لدراسة ما إلى التعزيز، ناهيك عن تحديدها عن طريق الأساليب الفعلية، من المسلم به أن النهج الذي يجيزه يشير إلى كائنات الدراسة التي قد تكون جديرة بالاهتمام، ولكن سيتم إنشاء بنائها المنهجي في ظل ظروف أفضل من خلال الأساليب التي تحمل هذا الاسم حقا: ملاحظة المشارك، مقابلة شبه منظمة، الطريقة الوثائقية، في علم الاجتماع تجد دراسة الحالة حقها في الوجود، لذلك فإن دراسة الحالة لها مداخلها في الأنثروبولوجيا تحت رعايتها، ومع ذلك فهي مرتبطة بالدراسة، يشير هذا الاسم المعروف بأنه كلاسيكي إلى دراسة وصفية ولكنها دقيقة وشاملة إن أمكن لظاهرة مقيدة (ميشيل بانوف، فرانسوا جريسل، ميشيل بيير، 1990، ص54) ،

ويقدم هارلنج (Harling, 2012) واحدا من أفضل مفاهيم دراسة الحالة، حيث يقول أن دراسة الحالة هي استعلام كلي شامل يبحث عن ظاهرة كائنة في حدود سياقها الحياتي الطبيعي، يمكن أن تكون هذه الظاهرة أشياء عديدة، برنامجا معينا، حادثة معينة، نشاطا معينا، مشكلة معينة، أو شخصا أو أشخاصا معينين، أما السياق الحياتي الطبيعي فهو الظروف التي تتواجد فيها الظاهرة، ومن ثم

فلا يمكن الفصل بين الظاهرة وسياقها. وتعتبر الظاهرة وسياقها نظاما مرتبطا مقيدا بمعنى أنه توجد حدود لما يمكن أن يكون مرتبطا بهما أو غير مرتبط، وتتمثل هذه الحدود في الوقت، والمكان، والأحداث، والعمليات أو الأنشطة. والمصنوعات المادية والتحف تساهم كلها في تعميق الدراسة (Harling Kenneth, 2012, P10) .

وتهدف دراسة الحالة من جانبها إلى تحديد الأحداث في سياقها والتي تم تشكيلها بالفعل كأشياء خاصة بالأنثروبولوجيا (مهرجان، قرية، طقس) وما إلى ذلك، ودراستها في جميع الجوانب التي يمنحها سياقها، وهذه الأخيرة بحكم تعريفها مقيدة، فهي تتعلق بمجتمعات الجزر الصغيرة التي يجد الأفراد أنفسهم فيها في حالة تفاعل مباشر ويشكلون مجموعات حقيقية محصورة عمليا داخل عزلات جغرافية، والعلاقات مع المجموعات خارج هذه المجتمعات مقيدة وعرضية (باتريك شامبين، 1982، ص08).

2.1. مفهوم الهوية:

الهوية لغة تعني الذات، والدلالة الذاتية للهوية تعني الإحساس بالانتماء إلى منظومة راسخة تعطي الفرد خصائص منفردة. وتعرف أيضا بكونها: تماثل الخصائص الجينية الأساس في عدة أمثلة أو حالات، أو تماثل كل ما يحدده الواقع الموضوعي للشيء المعين. كما تعرف أيضا: الهوية هي الشخصية متطابقة مع مجموعة من الأفراد، وهي فريدة من نوعها (مُحَمَّد العربي ولد خليفة، 2003، ص108).

أما الهوية اصطلاحا: يعرفها عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (Weber.M) الهوية بأنها إحساس الجماعة بالأصل المشترك، وهي التعبيرات الخارجية الشائعة، مثل الرموز والألحان والعادات، وتميز أصحاب هوية ما عن سائر الهويات الأخرى، وتظل هويتهم محتفظة بوجودها وحيويتها، مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافي (علي عبد الرؤوف، 2014، ص443).

أما محمود العالم فأشار إلى أهمية الهوية في تشكيل الشخصية الفردية والمجتمعية (مُحَمَّد أمين العالم، 1996، ص19)، وهذا ما أكد عليه محمد عابد الجابري حين رأى أنه لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعتيها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن (الجغرافية والتاريخ)، الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة)، والأمة (النسب الروحي) الذي تنسجه الثقافة المشتركة (مُحَمَّد عابد الجابري، 1998، ص14-22)، كما وضح الجابري على أن الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار، حتى لو توفرت الإرادة السياسية (مُحَمَّد عابد الجابري، 1995، ص12).

ومن خلال التعاريف المقدمة، يمكن القول: أن الهوية تنطوي على معان الرمزية والروحية والحضارية الجماعية تعطي الفرد إحساسا بالانتماء إلى الوطن الأم، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بكونه ينتمي إلى جماعة معينة. وكانت الهويات البديلة المفتعلة تعمل على تشبع حاجة المواطنين إلى الإحساس بالانتماء، والبحث عن هويتهم الحقيقية (الإسلام) وإعادة اكتشافها، ومن ثم التوجه نحو تكريس الشعور بهذه الهوية وتعزيزها، الأمر الذي حول في نهاية المطاف الدول القائمة إلى أجسام غريبة في مجتمعاتها التي لم تتردد في رفضها والعمل على الإطاحة بها، وإقامة الدول التي تعتقد أنها الأقرب إلى تجسيد هويتها الحضارية (عبد الرزاق عيد، مُحَمَّد عبد الجبار، 1999، ص45).

أما التكوين الخاص بالهوية عند علماء النفس هو الوصول إلى الذات وأيضا فهمها، حيث يكون ذلك عن طريق القيام بمطابقة المواهب والقدرات الخاصة بالفرد مع الأدوار الاجتماعية التي تكون متاحة، فعند قيام الشخص بمعرفة ذاته فان هذا الأمر يعد أمراً غاية في الصعوبة فهذا يكون نتيجة لاتساع العالم الاجتماعي من حول الفرد، فلكي يتمكن الفرد من اكتشاف ذاته يجب عليه أن يقوم باتباع هذه الخطوات: (أحمد بن نعمان، 1998، ص124-125)

- تمكن الهوية الفرد من اكتشاف مهاراته الشخصية والعمل على تطويرها حيث أن ذلك يتم عن طريق عملية التجربة والخطأ، فلكي يتمكن الفرد من تطوير المهارات الخاصة به وأيضا اكتشافها، فالقيام بذلك يتطلب وقت وجهد وصبر لكي يتمكن من مواجهة العقبات والإحباط الذي أن يتعرض لها الفرد في حياته.
- تمكن الهوية الفرد من إمكانية معرفة احتياجاته وأهدافه من الحياة حيث يجب أن تكون ذلك الأهداف مناسبة مع المواهب والمهارات الخاصة بالفرد حتى لا يقع الفرد في الاكتئاب والشعور بالإحباط والشعور بالفشل.
- الهوية تقوم بخلق الفرص التي تكون مناسبة لكي يتم تجربة المهارات والأهداف.

للهوية الكثير من الأنواع، وهي: (ثائر رحيم كاظم، 2009، ص245-246)

-الهوية الفردية: هذه الهوية هي الذي تقوم بتوضيح وتفسير الماهية الخاصة بالإنسان، فهذه الهوية تشمل العديد من العوامل مثل: (الرقم الوطني، بصمات الأصابع، جواز السفر، شهادة الميلاد، التاريخ الشخصي، الأصدقاء، العائلة، العلاقات).

-الهوية الاجتماعية: هذه الهوية الاجتماعية تعرف بأنها غير اختيارية حيث أنها تعتمد علي مفهوم الأدوار الاجتماعية وطرق التصرف التي تقوم بها مجموعة معينة من الأفراد مثل: (الأطفال).

-الهوية الجماعية: هذه الهوية الجماعية هي التي تقوم بمشاركتها المجموعات الاجتماعية فقط.

رابعاً: الهويات المتعددة: حدث جدال كبير بين علماء الاجتماع حول أن مفهوم الهوية والقيام بتعريفها تكون معقدة وليست بهذه السهولة كما وضحت، حيث أنها تتأثر بالكثير من العوامل التي ترتبط بالقضايا الاجتماعية التي تكون محيطة بها، مثل : (الطبقة الاجتماعية، الجنس، العرق، العمر، الجنسية، وغير ذلك).

خامساً: وصمة الهوية: وصمة الهوية تقوم بالارتباط بالصفات الجسدية أو بالصفات الاجتماعية التي يكون غير مرغوب فيها.

وللعمل على تطوير الهوية يتضمن أيضا القيام بتطوير كلا من: (الهوية الدينية، الهوية السياسية، الهوية المهنية، الهوية العرقية، الهوية الجندرية، ويتضمن أيضا تطوير الهوية الي جانبين رئيسيين)، وهما: (حامد خليل، 1996، ص92)

أولا: مفهوم الذات: يقوم بالإشارة إلى قدرة الشخص فيعلى بناء المعتقدات والآراء الشخصية له بثقة واستقرار، وأيضا التطورات المعرفية التي تحدث في مرحلة المراهقة المبكرة تقوم بالمساهمة في عملية زيادة الوعي الذاتي وأيضا عملية الوعي الذي يكون حول الآخرين وأيضا الذي يكون حول أفكارهم وأحكامهم، وأيضا مفهوم الذات هو قدرة الخص علي القيام بالتفكير في كلا من الاحتمالات المجردة والمتعددة.

ثانيا: احترام الذات: يشير احترام الذات إلى الأفكار الخاصة بالفرد وأيضا مشاعره التي تكون في اتجاه مفهوم ذاته وهويته الشخصية وتعزيزها وحمايتها.

مفهوم الهجرة غير الشرعية:

تعتبر الهجرة أحد الظواهر المعروفة منذ قديم الزمان، وقد ساعدت على بناء الحضارات والمجتمعات، إلا أن مفهوم الهجرة غير الشرعية يختلف تماماً عن الهجرة العادية، وذلك لأن الهجرة غير الشرعية تساعد على انتهاك القوانين الخاصة بالهجرة للبلد المهاجر إليه، ويكمن السبب وراء تلك الهجرة في المعاناة من الفقر والأحوال الاقتصادية السيئة المنتشرة في البلد المهاجر منه، وفي العديد الدول الأخرى، وقد يتعرض المهاجرون بالطرق غير الشرعية إلى العديد من المخاطر مثل الغرق، أو المعاناة النفسية التي تتمثل في الشعور بالإحباط وفقدان الأمل. وتُعرّف الهجرة غير الشرعية بأنها انتقال الإنسان من موطنه الأم إلى بلاد أخرى من أجل الإقامة بها بشكل دائم، إلا أن هذا الانتقال لا يتفق مع القواعد والأحكام الخاصة بالهجرة بين الدول، والتي نصّ عليها القانون الدولي والداخلي (ليندة عكروم، 2011، ص98).

مفهوم الحرقة

التناول اللغوي :

و نقتصر فيه على كلمة الحرقة

الحرقة :بنيت من الجذر حرق يحرق حرقا وأخذت العديد من المعاني غير ان الذي يعنينا كلمه حرق (بتشديد حرف الراء)

حرق الشيء : بمعنى أشعل فيه النار وبالغ في ذلك . ومنها جاءت منها كلمة حراق(بتشديد الراء) : وهو الذي يقوم بفعل الحرق ويبالغ فيه.

ولان الكلمة ،(كل كلمة)عبارة عن بناء مشكل من حروف جمعت واختيرت بشكل معين و مضبوط لتعطي معنى او مفهوم معينا ومحددا ومن ثم فإن اجتماع عناصر هذا البناء أي الحروف بصيغ مختلفة يعطي معاني اخرى تجد فيها من الترابط ما يحيل الى المعنى العام للكلمة كيه وتدور في حقله المفاهيمي.

فإذا أخذنا كلمة "حرق "،وشكلنا من حروفها كلمات اخرى ستعطبنا ما يلي: حر، حق ،رق، قر، حقر، قرح

وهي الكلمات قد نجد ظلالها ومعانيها في تحليل مضمون أقوال وأفعال الشاب الجزائري في تمثله لظاهرة الحرقة.

التناول الإصطلاحي

الحرقة مصلح فرض نفسه بقوة ولم تنتجه المؤسسات الأكاديمية بل أنتجه الحراقة أنفسهم من صميم الكلمات المتداولة يوميا ك احرق لا شان احرق الستوب أي لا تنتضر الدور ةلا تلتزم بالممنوع تجاوز كل ذلك تجاوز الحدود المفروضة عليك بحيث أصبح متداول بشدة في جميع الفضاءات الرسمية وغير الرسمية وعند جميع الشرائح المجتمعية وكل الفضاءات الإعلامية الوطنية منها والدولية وتقريبا كل اللغات الحية واحسبني اجد تفسيرا لذلك من خلال التفسير النفسي للنار على اساس ان النار هي الوسيلة لفعل الإحتراق اجد ذلك في قول غاسطون باشلار

تهيئ لنا النار والحرارة ادوات تفسير في مختلف الميادين لانهما تتيحان لنا المناسبة لا ختيارات شخصية بسيطة حاسمة و هكذا هي النار ظاهرة ذات امتياز يمكنها ان تفسر كل شي وان كان كل ما يتغير بطياء تفسره الحياة فان كل ما يتغير سرعا تفسره النار

التناول السوسيولوجي

يرى أستاذ علم الإجتماع الثقافي بجامعة الجزائر يوسف حنطابلي أن الهجرة غير النظامية ظاهرة إنسانية تحركها أسباب تأخذ أبعادا إجتماعية متجلية في بلد الإنطلاق، وتتواصل إلى بلد الوصول، إن حصل ذلك أصلاً، وهي مؤشر ثقيل يعطي صورة حقيقية عن معاناة قطاع كبير من الشباب الجزائري من أوضاع اقتصادية، تمثّل المستوى الأكثر ارتباطا بهذه الظاهرة (عبد الحكيم حذاقة، 2021)

أي انه لمحاولة فهم وتفسير هذه الظاهرة يجب أن نولي اهتمامنا للأبعاد الإجتماعية في بلد اللإنطلاق وهو ما أكد عليه عبد المالك صياد في دراسته للهجرة وان المعانات الإقتصادية للكثير من شباب الجزائر أهم أحد هذه اللأبعاد

ويوضح حنطابلي للجزيرة نت أن "ضيق أفق الأرض الذي فقد بالنسبة لهؤلاء كل مبررات الحل الممكن لمعاناتهم، جعلهم يغامرون إلى ما وراء البحر بحثا عن أفق أرحب وحياة أفضل."(عبد الحكيم حذاقة، 2021)

وما إتضح في الجزائر مؤخرا –حسب حنطابلي– هو أن "إرتفاع محاولات الهجرة غير النظامية يجد معناه في أن الحراك رفع سقف الطموح عاليا لدى الشباب في تحقيق تغيير جذري يحسّن أوضاعهم الخاصة، حيث كانت وتيرته سريعة مقابل حلول وفتح أفق التغيير بوتيرة أضعف، وفق تصور غير واضح."

ويضيف أن هذا الوضع أفقدهم الأمل ودفعهم للبحث عن فتح الممكن الذي يتراءى لهم في ما وراء البحر، "خاصة من خلال الصور الذهنية التي يتلقونها في وسائل الإعلام ومواقع التواصل ممن وصلوا إلى الضفة الأخرى، حيث إن النجاح ممكن، ويستحق المغامرة رغم أن مساره قد يؤدي إلى الموت المحقق."

بكيس يرى أن كورونا والقمع والتضييق على الحريات أسهمت في عودة الجزائريين للهجرية غير النظامية من جانبه، يعتقد أستاذ علم الاجتماع السياسي نور الدين بكيس أن الهجرة غير النظامية أحد أهم الأعراض لأزمة خانقة تعيشها الجزائر منذ عشرات السنين، وهي ظاهرة كاشفة لعجز منظومة إدارة مجتمع بكاملها من مستواها السياسي إلى مستواها الأخلاقي.

ويقول للجزيرة نت إن الهجرة ترتبط عادة بنفسية المجتمع، فكلما ارتفع مستوى الإحباط تنامت أعداد المقبلين على الهجرة، كما يحدث أنْ تُوظف عند البعض كرسالة انتقام من البلد، وبالأخص من السلطة السياسية، لذلك تراجعت الظاهرة بشكل كبير بعد استشعار الجزائريين أمل التغيير في الحراك، لكنه سرعان ما خفت في سياق التدافع بين الجماهير المحتجة واستماتة النظام في التعطيل بشتى طرق الاحتواء والتمييع، حسب تعبيره.

التناول الاعلامي

ذكرت وكالة الانباء الجزائرية في صفحتها الالكترونية ليوم الاربعاء 10نوفمبر2021 ، أحبطت عناصر الفرقة الإقليمية للدرك الوطني بالمرسى (شمال غرب الشلف) محاولة هجرة غير شرعية لـ 18 شخصا، انطلاقا من شاطئ عين حمادي بذات البلدية (المرسى)، حسبما أفاد به يوم الخميس بيان لذات الهيئة الأمنية.

و أوضح البيان الأمني أن عناصر الدرك الوطني و في إطار محاربتها لظاهرة الهجرة غير الشرعية عبر البحر، أحبطت محاولة إبحار سري لـ 18 شخصا انطلاقا من شاطئ عين حمادي باتجاه السواحل الإسبانية.

ووفقا لذات المصدر، تمت هذه العملية استغلالا لمعلومات واردة لذات الفرقة تفيد بوجود مجموعة من الأشخاص بصدد التحضير والإعداد للهجرة غير الشرعية عبر البحر، ليتم تفعيل مخطط مجابهة ظاهرة الهجرة السرية وغلق جميع المنافذ المؤدية إلى سواحل تنس والمرسى.

وأسفرت هذه العملية عن توقيف المشتبه فيهم البالغ عددهم 18 شخصا وتتراوح أعمارهم ما بين 20 و 43 سنة، وحجز معدات تتمثل في قارب مطاطي، محرك نوع سوزوكي قوة 40 حصان، قارب نزهة نوع بوليو 520، محرك نوع ياماها، 8 سترات نجاة، 240 لتر من البنزين، جهاز ملاحة بحري، بالإضافة إلى مبلغ مالي بالعملة الصعبة قدره 820 يورو.

. ويذكر الصحفي عبد القادر حذاقة في مقال له للجزيرة نت بتاريخ 04 نوفمبر 2020 بعنوان "إنقاذ 755 شخصا في أسبوع.. لماذا تتنامى الهجرة غير النظامية في الجزائر؟"

ان مؤشرات الهجرة غير الشرعية في الجزائر تصاعدت خلال 2020 بعد أن تراجعت في أعقاب الحراك عام 2019

إلى وقت قريب، كانت الجزائر تعدّ ضمن دول العبور للمهاجرين غير النظاميين الوافدين عليها من بؤر النزاعات المسلحة والفقر والمجاعات في منطقة الساحل الأفريقي تحديدا.

غير أن الأوضاع أخذت تنقلب تدريجيًّا، لتتحول الجزائر –التي تُنعت بالدولة المستقرة، والزاخرة بكل الثروات والموارد– إلى مصدر مزعج للضفة الأوروبية من تنامي معدلات الهجرة غير النظامية لرعاياها، حتى أضحى الملف محور مباحثات ثابت على طاولة المفاوضات مع ضيوفها الأوروبيين.

وبلغة الأرقام الرسمية، كشفت الحصيلة العملياتية للجيش عن إحباط محاولة هجرة لـ1723 شخصا، وإنقاذ 25 آخرين من الغرق، وانتشال 8 جثث، خلال النصف الأول من العام الجاري.

في حين تمكن حرس السواحل في الفترة من 20 إلى 25 سبتمبر/أيلول الفائت من اعتراض وإنقاذ 755 شخصا حاولوا الإبحار بطريقة غير شرعية، كما تم انتشال 3 غرقى بعد انقلاب قواربهم، وفق بيان لوزارة الدفاع. وأعلنت السلطات الأمنية بالموازاة عن تفكيك عدة شبكات مختصة في تنظيم الهجرة غير النظامية.

ويوم سُئل الرئيس عبد المجيد تبون عن الحل، أجاب بأن أساس المشكلة ليس الفقر، فهناك أطباء وموظفون يهاجرون سريا، ومنهم من رجع إلى أرض الوطن بسبب المعيشة في المهجر.

واقترح الرئيس عبد المجيد تبون عقد اتفاقيات مع بعض الدول لإرسال شباب جزائريين إلى الخارج لمعرفة الأوضاع عن كثب، كما يمكن الاستعانة بالأطباء النفسيين، لأن المشكلة صعبة وحلها أصعب، على حد تعبير قبل أيام، أكدت صحيفة "الكونفيدنثيال" الإسبانية –نقلا عن إحصاءات لوزارة الداخلية– أن الجزائريين يتصدرون مجموع المهاجرين غير شرعيين

رين غير النظاميين الذين وصلوا سواحل بلادها الجنوبية، منذ يناير/كانون الثاني الماضي إلى نهاية يوليو/تموز، بنحو 2703 مهاجرين، بمعدّل 55% من إجمالي المهاجرين غير النظاميين إلى إسبانيا.

بل إن وسائل إعلام محلية في سردينيا أفادت بوصول 66 مهاجرا جزائريا غير نظاميين في ليلة واحدة بتاريخ 11 أغسطس/آب الماضي، من بينهم 4 أطفال وامرأتان، إحداهما حامل.

وأدت فاجعة هلاك 9 مهاجرين غير نظاميين غرقا بغرب البلاد، بتاريخ 21 سبتمبر/أيلول الماضي، إلى حالة استنفار لدى السلطات، في أعقاب انقلاب قارب مطاطي، من بين ركابه عائلة كاملة مكونة من زوجين و3 أطفال لا تتعدى أعمارهم 6 سنوات.

أما المفارقة الملفتة فهي أن مؤشرات هذه الهجرة تصاعدت خلال 2020، بعد أن تراجعت في أعقاب حراك 22 فبراير/شباط 2019، إذ لم تسجل حالات جديدة خلال الأشهر الأولى من المظاهرات الأسبوعية، على الأقل وفق البلاغات الرسمية، وما ظهر على تفاعلات التواصل الاجتماعي، وهو ما طرح فرضيات حول علاقة الظاهرة بمخرجات الحراك. **الاغتراب الداخلي** ولذلك يرى بكّيس تصاعد الهجرة مجددا في الجزائر كردّ فعل طبيعي على عودة مظاهر الاغتراب والاستقالة بعد قرابة سنة من ارتفاع منسوب المشاركة السياسية بمختلف أشكالها.

ويضيف المتحدث أن "التأزيم الاقتصادي الذي أحدثته جائحة كورونا، إلى جانب القمع والتضييق على الحريات الممارسين من قبل السلطة؛ أسهمت في إقناع جزائريين بالعودة لاعتماد الهجرة غير النظامية كأحد أهم الحلول الممكنة رغم مخاطرها."

وإذا أردنا أن نلخّص السياق المشجّع عليها -يجيب بكّيس- فما علينا إلا اعتماد مفهوم الهجرة الداخلية، كتعبير عن مختلف أشكال الاغتراب التي يعاني منها الجزائريون ويتخذونها شكلاً للهروب من الواقع، مثل الهجرة الافتراضية بالإدمان على شبكات التواصل، والدوريات الرياضية، والمسلسلات التلفزيونية، والاستقالة من الشأن السياسي، وتضييق فضاء التفاعل إلى أدنى مستوياته، بالإضافة للاغتراب المهني والوظيفي.

ذكرت وكالة الانباء الجزائرية في صفحتها الالكترونية ليوم الاربعاء 10نوفمبر2021

أوضح البيان الأمني أن عناصر الدرك الوطني و في إطار محاربتها لظاهرة الهجرة غير الشرعية عبر البحر، أحبطت محاولة إبحار سري لـ 18 شخصا انطلاقا من شاطئ عين حمادي باتجاه السواحل الإسبانية.

و وفقا لذات المصدر، تمت هذه العملية استغلالا لمعلومات واردة لذات الفرقة تفيد بوجود مجموعة من الأشخاص بصدد التحضير والإعداد للهجرة غير الشرعية عبر البحر، ليتم تفعيل مخطط مجابهة ظاهرة الهجرة السرية وغلق جميع المنافذ المؤدية إلى سواحل تنس والمرسى.

وأسفرت هذه العملية عن توقيف المشتبه فيهم البالغ عددهم 18 شخصا وتتراوح أعمارهم ما بين 20 و 43 سنة، وحجز معدات تتمثل في قارب مطاطي، محرك نوع سوزوكي قوة 40 حصان، قارب نزهة نوع بوليو 520، محرك نوع ياماها، 8 سترات نجاة، 240 لتر من البنزين، جهاز ملاحة بحري، بالإضافة إلى مبلغ مالي بالعملة الصعبة قدره 820 يورو.

يؤكد حالة الاغتراب التي يعيشها المهاجر السري

ثانيا المقابلات والتحليل

المشاركون او عينات الدراسة

نظرا لطبيعة موضوع الدراسة " الحرقة" وما يتسم بخصوصية ويشترط السرية للمشاركين او عينات الدراسة ولأن العينات كانت قصديه اي أن إختار بالضبط أشخاص قاموا بفعل الحرقة فلم يكون الوصول اليهم والتواصل معهم بسهولة غير أن" أول الغيث قطر"

المشارك لطفي عيينة دراسة الحالة

لطفي شاب من مدينة سوق أهراس يبلغ من العمر 20 سنة أصيب بمرض القصور الكلوي الحاد في سن 18 ولم يكن له أي امل في الشفاء إذ يلزمه أن يخضع لعملية التصفية ثلاثة أيام في الأسبوع أي ثلاثة حصص مدة الحصة أربع ساعات بالإضافة الى تناول الأدوية ،تعذر عليه إجراء عملية زرع كلية لعدم وجود متبرع مما يجعل حياته معلقة بجهاز تصفية الدم .

قال لي كانت المشينة _ جهاز التصفية_ هي الوسيلة الوحيدة للبقاء حيا لكن اليوم الحمد لله ويكثر خير فرنسا الي قامت بيا وهزتني وعالجتني ونقضتني من الجحيم ومن أن أبقى سجينا للمشينة.

لم أجد حلا سوى الحرقة يكثر خير الوالدة باعت ذهبها على جالي ودبرت راسي ، تصور حتى السيد الي متكلف بالحرقة شفق عليا ونقصلي في السومة كي عرفني مريض وحارق من أجل العلاج ،سهلي ربي وحرقت ووصلت للطليان لباس، بعد سمانة تعبت

فقررت الذهاب الى المستشفى الى الاستعجالات وحدي وبالرغم من أنني لا أتكلم لغتهم الا أنهم قامو بيا دارولي التحاليل كي خرجت التحاليل جاوني يجرو ومعاهم طبيب عربي _تونسي_ قلتلو راني IRC [1]

فنقلوني بسرعة الى مصلحة تصفية الدم وتلاقيت بالمشينة مرة أخرى ، بعد إنتهاء حصت التصفية أخذوني الى مكتب وجدت أعوان الشرطة هناك في إنتضاري ومعهم مترجم قامو بإستجوابي ، و بعدها أطلقو سراحي ، وقبل خروجي من المستشفى وجدت الطبيب التونسي الذي قدم لي نصيحة قائلا :"ننصحك أطلع لفرنسا ما تقعدش هنا لهيه يقومو بيك أحسن وقادر يزرعولك كلية وتنهى خلاص " وبالفعل طلعت ولقيت " أولاد لحلال طهلو فيا وعاونوني ووصلوني للجمعيات الخيرية كملاو معايا حتى سهل ربي وزرعت كلية الحمد لله ويكثر خيرهم وهاك لبلاد ما نزيد نرجعلها حتي نريقلو كواغطي ديفينيتيف"

"كرهت العيشه في البلاد مكان حتى شيء يعجب فيها ،الوسخ العفن ، قلة التربيه ،الخدمة ماكانش،

البيروقراطية المعريفة، ماكانش وين تروح ،ماكنش وين تتمشى ما كانش وين تقعد تقعد ،الحرزة ،قعدتي يا حليلك ، خدمتي يا حليلك ، صليتي يا حليلك ، سكرتي يا حليلك ، عباد ما يخلوش الواحد في حاله"

قالها مايدي –شخصية شعبية– معروف بنقده اللاذع للحياة الإجتماعية و السلطة "تروح للبحر لازم تعس قشاتك وتعس مرتك – زوجتك_ إذا عسيت القش يسرقولك المرا _الزوجة_ واذا عسيت المرا يسرقولك حوايجك تروح تعوم يسرقوهم في زوج"

يواصل الكلام قائلا:

"لكن الهيه –là-bas– راك متهنيي ، وحر، وفي أمان تام، تروح وين تحب ،تعيش كيما تحب، تطيح تمرض يجوو لحضات يكونو عندك ، يهزوك ، لحظات يقوموا بيك ليه ليه بالخف ، ما كانش عندهم أستنى ولا الطبيب ما كانش"

"في سبيطار تلقى النظافه طبه ملاح فرمليات ملاح الماكله مليحة يا خويا حاجة أخرى خلاص"

"لكن هنا تمرض تسوفري ما يسمع بك حتى واحد ،خلي على الحالة في سبيطار مكان لاه نهدرو."

التحليل:

السبب والدافع الرئيس لحالة لطفي هو العلاج والحصول على فرص أفضل لزرع كلية تنهي عذاب وألآم المرض،بعد يأسه في حصول ذلك لعدم وجود متبرع، وبعد محاولات عديدة بأت كلها بالفشل فكانت الحرقة مشروعا هجريا ساهمت العائلة وخاصة الأم في إنجازه و تحقيقه.ليقينها التام بأن التكفل الصحي هناك سيكون أفضل بكثير.التمثل في هذه الحالة يخلع عن الحرقة ثوبها المأسوي ويجعل منها وسيلة وطقس عبور منزوع القداسة ومشبعا بالأمل والخوف لكنه ضامنا للدخول في مرحلة وتجربة جديدة تقطع الصلة بتمثلات العائلة للفرد المريض المحتاج داخل منظومة مجتمع يفترض فيها العناية اللازمة والصارمة لفئة هشة جدا ،الى جانب نقص فادح في الثقافة الصحية خاصة المتعلقة بالتبرع ونقل وزرع الأعضاء الحيوية من كلى وقلب وكبد ونخاع وغيرها بالنسبة للأشخاص الذين هم في حالة موت سريري، والتي تساهم بقدر كبير في إنهاء معانات الكثير من المرضى وكذا مساعدة الأجهزة الطبية في إيجاد الحلول وتفعيلها. هذا الذي يخلع التمثل المأساوي لظاهرة الحرقة ويلبسها للثقافة الصحية للمجتع ،وللمنضومة الصحية ايضا،ويعزز الشعور بالإحباط لأفراد المجتمع ،ويفكك روابط صلة مكوناته، من شعب يعاني وأجهزة تحاول لكنها عاجزة عن الوفاء ببنود العقد الإجتماعي الظامنة لإستمراره والكفيلة ببقائه وتطوره ،

[1] IRC :insuffisance rénal chronique وتعني قصور كلوي حاد

التحليل:

عبارة "أنا من بكري حاب نعيش لهيه في أوروبا" جاءت هذه الرغبة بعد الإتصال الثقافي مع الأسرة الفرنسية على حداثة سنه وما تركته من إنطباع عن نموذج الحياة الإجتماعية والثقافية للأخر الذي تمظهر في سيارة ولباس ونضافة وطريقة الكلام والحوار عندهم الى جانب ما علق من صورة الأخر الفرنسي المتحضر والمتفوق في كل شيء فهو الذي يصنع السيارة ويصنع الألة ويصنع الدواء وهو المهذب في كلامه ولباسه في مخياله ومخيال المجتمع ، لذا كانت عوامل الجذب ثقافية ،كانت هذه رغبة نمت وتطورت بسرعة عند اصطدامه بواقع الرعاية الصحية والتكفل العلاجي لأمه المريضة داخل الوطن، في حين عاين الفرق الكبير في دولة قريبة وشقيقة ،وان كان ذلك بمقابل مالي هام لكن هناك فرق، ولكي تكون مثلهم يجب أن تكون معهم و عندهم، شكل لديه عامل الطرد ، وهو ما فسرته نضرية الهجرة على المستوى الجزئي نضرية الجذب والطرد التي ترى أن اسباب الهجرة يعود الى قيم فردية ، رغبات، توقعات ، مثل تحسين مستوى المعيشة (هاشم نعمة فياض، 2018 ، ص 9-10). وهو ما اشار إليه الباحث نور الدين بكيس بأن الهجرة غير النظامية أهم الأعراض لأزمة خانقة تعيشها الجزائر منذ عشرات السنين، وهي ظاهرة كاشفة لعجز منظومة إدارة مجتمع بكاملها من مستواها السياسي إلى مستواها الأخلاقي.وكلما إرتفع مستوى الإحباط تنامت أعداد المقبلين على الهجرة. ومن بين مفردات منظومة المجتمع المنظومة الصحية وعجزها عن تقديم الرعاية الصحية الموكلة اليها الى جانب عجز المنظومة الأخلاقية الأخرى التي نقلت صورة الأخر الأوروبي على أنه الأفضل والأحسن في كل شيء مما يعزز مقولة ابن خلدون من أن المغلوب مولع دائما بالغالب عبارات: "أنا حر"، "حتى واحد ما يصرف فيا" انا حر في قراري،انا حر في أفعالي ،حر في حلي وترحالي،لست ملزما بما يعنيه لك " أنت (المجتمع)،ولست مجبرا على مراعاة تصنيفكم لهذا الفعل ،إن كان تصرفا سليما ،أو غير ذلك مشروعا أو محرما،قانوني ومخالفا للقانون، "أنا حر" وفعلي هذا رفض لكم،رفض لتصنيفكم،رفض لتصوركم ،ورفض للقيمة التي تعرفونا –من التعريف –بها

وتقيسونا–من القياس حريتي في اتخاذ قراراتي،واختيار الوسائل والكيفيات التي امارس بها تصرفاتي ،وأنجز بها افكاري وأحلامي ،وامتلك بها حقوقي.

نقرأ في هذه العبارة تمثل الجراق لمفهوم الحرية في السلوك وفي تصور المكان او الفضاء فضاء الحركة والإنتقال وانه الوحيد الذي يرسم شكلها ويعين حدودها ما دام الموضوع يتعلق بشخصه فقط ، وهو رفض لمفهوم وتصور الأخر أي المجتمع او النظام ،كما أن الحكم والتصنيف لفعل الحرقة بالتحريم او التجريم لا يعنيه ،فمفهوم المواطنة ممثلا في إحترام القانون والتشريع والأحكام الدينية ملغى تماما عند تصور وتمثل الحرقة او الهجرة وذلك بتفعيلها

كما أن حالة الإحباط والشعور بالتهميش والحقرة جراء البيروقراطية والتماطل الإداري في معالجة ملف والده الذي توفي في حادث مرور لم يكن سببا فيه. فالفساد الإداري وانتشار الرشوة والمحسوبية يعزز إلغاء مفهوم المواطنة من جهة أخرى بإعتبار الدولة مسؤولة على ضمان حقوق مواطنيها

لا سلطة للمجتمع ولا للدولة علي، انتم لا تملكون حق التصرف في افعالي،لأنها تعنيني انا وأنا فقط.

وعبارة "الروح روحي وانأ الي مسئول عليها" الروح تمثل الشاب للحياة ،فالروح أيضا روحه هو فقط و حياتها هي أيضا حياته هو فقط،وهو من له حق التصرف فيها بتوفير ما يلزم لبقائها واستمرارها في أحسن الظروف، وأيضا في المحافظة عليها، او في تعريضها للمصاعب و الأخطار إن لزم الأمر،لذا فإستمرار وجودها او فقدانها لا يعنيكم، لأنه سبق وأن فقد والده روحه ولم تهتموا لذلك

وعبارة "أنتم واش درتولي حتى تتصرفو فيا" أي ماذا قدمت لي من حقوق أو ضرورات البقاء والعيش ،ماذا قدمت لي من توفير لوسائل العيش الكريم الذي أحلم به ،ماذا أعني لكم كفرد من المجتمع، او كمواطن جزائري كامل الحقوق ماذا يعني لكم هذا الجسد، ماذا تعني لكم هذه الروح ماذا ؟ ماذا؟

إذا بتوفيرك ومساعدتك وإحترامك لهذا الجسد، وهذه الروح، وهذا الفرد، وهذا المواطن الجزائري كامل الحقوق، أقبل مشاركتك في بناء أفكاري وأحلامي وتوجيهك ومراقبتك لتصرفاتي، وقبول القيمة الإجتماعية التي تصنفون وتقيسون بها الأفكار والمعتقدات ،وتضبطون بها حلي وترحالي- مجالي الجغرافي- .اي أن جغرافيتك لا تعنيني.

وعبارة "انا حر نعيش كيما نحب ونعيش وين نحب"

بإستمرار الإقرار والتأكيد على الشعور بالحرية يوجب ويحتم نمارسها والتمتع بفوائدها .

.فممارستها تقضي الحرية في إختيار وممارسة الحياة او العيش بالكيفيات التي يريدها هو ،ويرغب فيها.

فهو حر في إختيار وممارسة نمط العيش الذي يراه أفضل، ونمط التفكير الذي يحقق هذه الحرية ويضمن بقائها وإستمراها، في الأماكن التي يلاحظ فيها ،أو يسمع عنها ،تقديس مجتمعاتها وأنضمتها الإجتماعية و السياسية للحرية وللحقوق، وتكييف قيمها وقوانينها ،لتجسيد هاته القيمة "الحرية" والمحافضة عليها.

عبارة: "أخطونا انتوما ما نطلبوا منكم حتى شيء"

اي :دعونا أنتم نحن لا نريدكم، لا تريد اهتمامكم، لا تريد نصائحكم، أخلو سبيلنا، دعونا لإنفسنا لإختيارنا لإقدارنا، دعونا نشعر أننا أحرار على الأقل في أجسامنا أرواحنا دعونا للبحر لما وراء البحر نحن لا تريد منكم شيء ،نريد فقط أن تدعونا

الإيمان بأن الموت أمر حتمي الحدوث والحركة ليست بالضرورة السبب الرئيس يقول الحراق الموت بالساعه وهي مقدرة ولا نعلم وقت حدوثها العديد من الحراقة نجحوا وعبروا الى الضفة الاخرى

يرى العديد من الناس يموتون بأسباب اخرى اخرى كالأمراض حوادث المرور الكوارث الطبيعية وغيرها وأعدادها كبيرة جدا بالمقارنة مع الذين يموتون في البحر عبارة "أنا من بكري حاب نعيش لهيه في أوروبا" جاءت هذه الرغبة بعد الإتصال الثقافي مع الأسرة الفرنسية على حداثة سنه وما تركته من إنطباع عن نموذج الحياة الإجتماعية والثقافية للأخر الذي تمظهر في سيارة ولباس ونضافة وطريقة الكلام والحوار عندهم الى جانب ما علق من صورة الأخر الفرنسي المتحضر والمتفوق في كل شيء فهو الذي يصنع السيارة ويصنع الألة ويصنع الدواء وهو المهذب في كلامه ولباسه في مخياله ومخيال المجتمع، لذا كانت عوامل الجذب ثقافية ،كانت هذه رغبة نمت وتطورت بسرعة عند اصطدامه بواقع الرعاية الصحية والتكفل العلاجي لأمه المريضة داخل الوطن، في حين عاين الفرق الكبير في دولة قريبة وشقيقة ،وان كان ذلك بمقابل مالي هام لكن هناك فرق، ولكي تكون مثلهم يجب أن تكون معهم و عندهم، شكل لديه عامل الطرد ، وهو ما فسرته نضرية الهجرة على المستوى الجزئي نضرية الجذب والطرد التي ترى أن اسباب الهجرة يعود الى قيم فردية ، رغبات، توقعات ، مثل تحسين مستوى المعيشة(هاشم نعمة فياض، 2018 ، ص 9-10). وهو ما اشار إليه الباحث نور الدين بكيس بأن الهجرة غير النظامية أهم الأعراض لأزمة خانقة تعيشها الجزائر منذ عشرات السنين، وهي ظاهرة كاشفة لعجز منظومة إدارة مجتمع بكاملها من مستواها السياسي إلى مستواها الأخلاقي.وكلما إرتفع مستوى الإحباط تنامت أعداد المقبلين على الهجرة. ومن بين مفردات منظومة المجتمع المنظومة الصحية وعجزها عن تقديم الرعاية الصحية الموكلة اليها الى جانب عجز المنظومة الأخلاقية الأخرى التي نقلت صورة الأخر الأوروبي على أنه الأفضل والأحسن في كل شيء مما يعزز مقولة ابن خلدون من أن المغلوب مولع دائما بالغالب.

خاتمة:

إن الجميل المرهق في الدراسات الأنثروبولوجية هو ميزاتها في إستعمالها لأدوات بحثيه لمختلف العلوم مما يدفع الباحث الى محاولة الإحاطة بأدوات البحثية لتلك العلوم وكيفية تسخيرها وتطويعها لخدمة البحث العلمي للوصول الى أهداف الدراسات الأنثروبولوجية.

وفي مقالنا هذا حاولنا فك رموز وخيوط هذه الظاهرة الخطيرة التي أصبحت حاضرة في معيش كل الفئات الإجتماعية وخاصة الشباب منهم وذلك بتحليل مقولة المشارك العينة القصديه والتي من خلالها نستشف ونستخرج مكونات تمثلهم لهذه الظاهرة والتي كانت بالنسبة لهم الحل الأخير للخروج من المصيدة وخلصت النتائج الى أن التغيير الذي حصل في تمثلات الشاب الحراق لكل من الأنا ، الأنا التي كانت أحد مفردات هذا المجتمع تتصف بصفاته وتنقل جيناته وموروثاته ولكل من الأخر، الأخر الغريب البعيد ، الذي لم يعد كذلك فأصبح مألوفا وقريب قريبا جدا ، بحظوره الثقافي وإمتداد حضوره الحضاري هذا الإستمرار والحضور المكثف بمختلف صوره وأشكاله غير معادلة الحوار بين الأنا والأخر وخلق إرتباكا في تمثل الأنا وخلخله في مكوناته والذي أثر بدوره في تصور وتمثل مفهوم الهوية عند الأفراد والجماعات فأصبح مفهوم الأنا أو الأخر متحركا غير ثابت ومتغير ايضا .حصل التغير في تمثله وتصوره لمفهوم الحرية ، حرية تلغي التزامات الفرد تجاه قوانين مجتمعه و وطنه أو دولته والتي يرى أنها لم تفي ببنود العقد الإجتماعي الذي يربطه بها بأن توفر وتحفظ له مقومات العيش الكريم لتحفظ حياته وكرامته فحصلت أيضاً في تصوره وتمثله لمفهوم النظام الإجتماعي الذي يعيش ضمنه وفي كنفه بمكوناته وأليات عمله، الذي يفضي الى التغير الذي حصل في تمثله لمفهوم الدولة، حصلت في تمثله لمفهوم الثقافة هذا التحرك وهذا التغير الذي سينتج بطبيعة الحال تحركا وتغيرا للعديد من المفاهيم التي تبنى إنطلاقا من الأناء ومن الهوية هذه الأنا الجديدة وهذه الهوية الجديدة ان إستطعنا القول او التصنيف

ستدفع بالفرد او المجموعة الى البحث عنها وتكييفها وممارستها لتحقيق الذات هذه الذات المجبولة بالفطرة على الحرية وعلى الإختيار الحر على حرية الممارسة وعلى حرية التصور على حرية الحضور وحرية الغياب وحرية إختيار مكان ونمط العيش ولأن الدافع شديد والجاذب قوي جدا سيتخطى كل المعوقات سيتخطى كل الحواجز سيقوم بفعل الحرقة في حين نجد أن التمثل لمفهوم العائلة ومفهوم الدين ظل ثابتا الى حين.

الإحالات والمراجع :

1. أحمد بن نعمان (1998)، **سمات الشخصية الجزائرية (من منظور الأنثروبولوجيا النفسية)**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
2. باتريك شامبين (1982)، **الإحصاء والدراسات والمجموعات الاجتماعية، في دراسات مكرسة لمادلين جراويتزر**، جنيف: دالوز.
3. ثائر رحيم كاظم (2009)، **العولمة والمواطنة والهوية، (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات)**، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج09، ع01.
4. حامد خليل (1996)، **مشكلة الهوية في الفكر العربي المعاصر، الفكر السياسي**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
5. عبد الرزاق عيد، مُحَّد عبد الجبار (1999)، **الديمقراطية بين العلمانية والإسلام**، بيروت: دار الفكر المعاصر.
6. عكروم ليندة: (2011)، **تأثيرات التهديدات الأمنية الجديدة على العلاقات بين الشمال وجنوب المتوسط**، عمان: دار ابن بطوطة،

7. علي عبد الرؤوف (2014)، **الاندماج الاجتماعي بين مأزق الهوية وفخ العولمة تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة، جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي**، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

8. فياض هاشم نعمة، (2018) ، **مفاهيم نظرية في الهجرة السكانية**، المجلة الالكترونية، عمران، عدد 26

9. مادلين جراويتز (1993)، **طرق العلوم الاجتماعية**، باريس: دالوزر.

10. مُحَمَّد العربي ولد خليفة(2003)، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

11. مُحَمَّد عابد الجابري (1995)، **مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

12. مُحَمَّد عابد الجابري (1998)، **العولمة والهوية الثقافية**، مجلة المستقبل العربي، ع228، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

13. محمود أمين العالم (1996)، **الفكر العربي بين الخصوصية والكونية**، القاهرة: دار المستقبل العربي.

14. ميشيل بانوف، فرانسوا جريسل، ميشيل بيرين وبيير (1990)، **قاموس العلوم الإنسانية**، باريس: ناثان.

15. عبد الحكيم حذاقة لماذا تتنامى الهجرة غير نضامية في الجزائر مقال منشور في الجزيرة نت يوم04.10.2020

http!//www.aljazeera.net consulté le03/5/2021 à 18heure

16. Harling Kenneth (2012), **An Overview of case study**, Article in SSRN Electronic Journal, September, Doi: 10.2139/ssrn.2141476.